

التحرير والتنوير

يجوز أن تكون الجملة حالا من ضمير النصب في (يسأله) أو تذيلا لجملة (يسأله من في السماوات والأرض) أي كل يوم هو في شأن زمن الشؤون للسائلين وغيرهم فهو تعالى يبرم شؤوننا مختلفة من أحوال الموجودات دواما ويكون (كل يوم) طرفا متعلقا بالاستقرار في قوله (هو في شأن) وقدم على ما فيه متعلقة للاهتمام بإفادة تكرر ذلك ودوامه . والمعنى : في شأن من شؤون من في السماوات والأرض من استجابة سؤال ومن زيادة ومن حرمان ومن تأخير الاستجابة ومن تعويض عن المؤول بثواب كما ورد في أحاديث الدعاء أن استجابته تكون مختلفة وتقدم عند قوله تعالى (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) .

ومعنى (في) في هذا التفسير تقوية ثبوت الشؤون □ تعالى وهي شؤون تصرفه ومظاهر قدرته كما قال الحسين بن الفضل النيسابوري : " شؤون يبديها لا شؤون يبتديها " . و (يوم) مستعمل مجازا في الوقت بعلاقة الإطلاق إذ المعنى : كل وقت من الأوقات ولو لحظة وليس المراد باليوم الوقت الخاص الذي يمتد من الفجر إلى الغروب .

يوم يومان الدهر : كقولهم العرب كلام في كثير الزمان مطلق على ونحوه اليوم وإطلاق A E نعم ويوم يؤس وقال عمرو بن كلثوم : .

وإن غدا وإن اليوم رهن ... وبعد غد لما لا تعلمين أراد الزمان المستقبل والحاضر والمستقبل البعيد وإلا فأى فرق بين غد وبعد غد .

والشأن : الشيء العظيم والحدث الهام من مخلوقات وأعمال من السماوات والأرض وفي الحديث " أنه تعالى كل يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع أقواما ويضع آخرين " وهو تعالى يأمر وينهي ويحي ويميت ويعطي ويمنع ونحو ذلك وإذا كان في تصرفه كل شأن فما هو أقل من الشأن أو لا بكونه من تصرفه .

والطرفية المستعملة في حرف (في) طرفية مجازية مستعارة لشدة التلبس والتعلق بتصرفات □ تعالى بمنزلة إحاطة الطرف بالمطروف أو بأسئلة المخلوقات الذين في السماء والأرض . والمعنى : أنه تعالى كل يوم تتعلق قدرته بأمر يبرزها ويتعلق أمره التكويني بأمر من إيجاد أو إعدام .

ومن أحسن الكلم في تفسير هذه الآية قول الحسين بن الفضل لما سأله عبد □ بن طاهر قائلا : قد أشكل علي قوله هذا : وقد صح أن القلم جف بما هو كائن إلى يوم القيامة . فقال : " إنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها " وقد أجمل الحسين بن الفضل الجواب بما يقنع أمثال عبد □ بن طاهر وإن كان الإشكال غير وارد إذ ليس في الآية أن الشؤون تخالف ما سطره

قلم العلم الإلهي على أن هذا الجواب لا يجري إلا على أحد الوجوه في تفسير قوله (كل يوم هو في شأن) كما علمت آنفا .

(فبأي آلاء ربكما تكذبان [30]) تكرير لنظائره .

(سنفرع لكم أيها الثقلان [31]) هذا تخلص من الاعتبار بأحوال الحياة العاجلة إلى التذكير بأحوال الآخرة والجزاء فيها انتقل إليه بمناسبة اشتغال ما سبق من دلائل سعة قدرة الله تعالى، على تعريض بأن فاعل أهل للتوحيد بالإلهية، ومستحق الأفراد بالعبادة، وإذا قد كان المخاطبون بذلك مشركين مع الله في العبادة انتقل إلى تهديدهم بأنهم أولياءهم من الجن المسؤولين لهم عبادة الأصنام سيعرضون على حكم الله فيهم .

وحرف التنفيس مستعمل في مطلق التركيب الممكنى به عن التحقيق، كما تقدم في قوله تعالى (قال سوف أستغفر لكم ربي) في سورة يوسف .

والفراغ للشيء : الخلو عما يشغل عنه، وهو تمثيل للاعتناء بالشيء، شبه حال المقبل على عمل دون عمل آخر بحال الوعاء الذي أفرغ مما فيه ليملأ بشيء آخر .

وهذا التمثيل صالح للاستعمال في الاعتناء كما في قول أبي بكر الصديق لابنه عبد الرحمن " أفرغ إلى أضيافك " أي تخل عن كل شغل لتشغل بأضيافك وتتوفر على قراهم " وصالح للاستعمال في الوعيد، كقول جرير : .

ألان وقد فرغت إلى نمير ... فهذا حين كنت لها عذابا والمناسب لسياق الآية باعتبار السابق واللاحق، أن تحمل على معنى الإقبال على أمور الثقلين في الآخرة، لأن بعده (يعرف المجرمون بسيماهم) ، وهذا لكفار الثقلين وهم الأكثر في حين نزول هذه الآية .
والثقلان : تثنية ثقل، وهذا المثنى اسم مفرد لمجموع الإنس والجن